به - سبحانه - من أنه خلقه فى الأرض، وجعله خليفة فى الأرض، وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له، وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة، وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب، وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولايخاف ولا ينام، وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر، فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض، وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل، فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب. والله الموفق.

قالوا: ولم يكن فى هذه المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله - سبحانه - الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة، فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد، فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها . والله أعلم.

* * * * * * *

الباب الخامس
فى جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا: أما قولكم إن قولنا: هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه، فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل، ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة، فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن، بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا، وقد وجدنا من كلام السلف ما يدل على خلافه، ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة، ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى إطلاقها وبعض أوصافها، فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها، فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئا، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة، ونحن إذا رجعنا إلى فطرتنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات.

وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وقول آدم: وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم ؟. فإنما يدل على تأخر آدم - عليه السلام - عن الاستفتاح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة، كما فى

1 اللفظ الآخر: إنى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها، فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام؟ وكذلك قول موسى لـه: أخرجتنا ونفسك من الجنة، فإنه لم يقل لـه: أخرجتنا من جنة الخلد.

وقولكم: إنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التى فى الأرض، فاسم الجنة وإن أطلق على تلك البساتين، فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله، وهى كالسجن بالنسبة إليها، واشتراكهما فى كونها فى الأرض لا ينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الأشياء.

وأما استدلالكم بقوله تعالى:**{وَقُلْنَا اهْبِطُواْ}** عقيب إخراجهم من الجنة، فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر، فإنها كانت جنة فى أعلى الأرض فأهبطوا منها إلى الأرض.

وقد بينا أن الأمر كان لآدم - عليه السلام - وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد إهباطه الأول لمَّا أبى السجود لآدم - عيه السلام -. فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها، وقد تقدمت.

وأما قوله تعالى:**{وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}**[1]. فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض، فإن الأرض اسم جنس، وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى، فأهبطوا إلى أرض يعرف فيها ذلك كله، وفيها حياتهم وموتهم، وخروجهم من القبور، والجنة التى أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذى . والأرض التى أهبطوا إليها هى محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره.

وأما قولكم: إنه - سبحانه وتعالى - وصفها بصفات لا تكون فى الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون فى الأرض التى أهبطوا منها.

وأما قولكم: إن آدم - عليه السلام - كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية، فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس فى قوله:**{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ}**[2]؟.

فجوابه من وجهين: **أحدهما**: أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذى لا انقطاع له فإنه فى اللغة: المكث الطويل ومكث كل شىء بحسبه، ومنه قولهم: رجل مخلد

(**1**) آية (36) سورة البقرة.

(**2**) آية (120) سورة طه.

إذا أسن وكبر، ومنه قولهم لأثافى[1] الصخور: خوالد، لطول بقائها بعد دروس الأطلال[2] قال:

إلا رمـــــاداً هامِـــــداً دفعـــــتْ ::: عنـــه الريـــاحُ خوالـــدَ سُـــحْم[3]

ونظيـر هـذا إطلاقهـم القـديم علـى مـا تقـادم عهـده وإن كـان لـه أول، كمـا قـال تعـالى:{كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}[4]،{إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ}[5]،{إِفْـكٌ قَـدِيمٌ}[6] وقد أطلق تعالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس وأطلقه النبى ﷺ على قاتل نفسه.

الوجه الثانى: أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحى، ولم يتقدم لآدم - عليه الصلاة والسلام - نبوة يعلم بها ذلك، وهو إن نبأه الله - سبحانه وتعالى - وأوحى إليه وأنزل عليه صحفا كما فى حديث أبى ذر، لكن هذا بعد إهباطه إلى الأرض بنص القرآن، قال تعالى:{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى}[7] وكذلك فى سورة البقرة:{قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} الآية.

وأما قولكم: إن الجنة وردت معرفة باللام التى للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعا، كقوله تعالى:{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ}[8] .

وقولكم: إن السياق ها هنا دل على أنها جنة فى الأرض.

قلنا: والأدلة التى ذكرناها دلت على أن جنة آدم - عليه السلام - فى الأرض، فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح.

وأما استدلالكم بأثر أبى موسى: "إن الله أخرج آدم - عليه السلام - من الجنة، وزوده من ثمارها"[9] فليس فيه زيادة علىما دلَّ القرآن إلا تزوده منها، وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد.

---

(1) الأثافى: جمع أثفية، وقد تخفف الياء فى الجمع، وهى الحجارة التى تنصب وتجعل عليها القدر. (مختار الصحاح: ثفي.)

(2) دروس : عفا وذهب أثره . الأطلال : ما شخص وبقى من آثار الديار.

(3) سُحْم : سود . جمع مفردها : أَسْحَم : أسود .

(4) آية (39) سورة يس.

(5) آية (95) سورة يوسف.

(6) جزء من آية (11) {... فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} سورة الأحقاف .

(7) آية (123) سورة طه.

(8) آية (17) سورة القلم.

(9) سبق.

وقولكم: إن هذه تتغير، وتلك لا تتغير، فمن أين لكم أن الجنة التى أسكنها آدم وكان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار، وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**لولا بنو إسرائيل لم[1] يخنــز اللحم**» [2] أى لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله - سبحانه وتعالى - فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير[3].

وأما قولكم: إن الله - سبحانه وتعالى - ضمن لآدم - عليه السلام - إن تاب أن يعيده إلى الجنة، فلا ريب أن الأمر كذلك، ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها، بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفّى سبحانه بضمانه حق الوفاء، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها. كما قال شعيب لقومه:**{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا}**[4]، وقد جعل سبحانه المُظاهِرَ [5] عائدا بإرادته الوطء، ثانيا أو بنفس الوطء أو بالإمساك؛ وكل منها غير الأول لا عينه، فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

* * * * * * *

(**1**) لم يخنز اللحم: أى ما أنتن. يقال: خنز يخنز وخزن يخزن: إذا تغيرت ريحه. "النهاية" (83/2).

(**2**) البخارى (161/4)، ومسلم فى الرضاع: ب (19): حديث (63).

(**3**) الذي ذكرت في القرآن . قال تعالى : **{فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ}** [البقرة : 259].

(**4**) آية (89) سورة الأعراف.

(**5**) المظاهر : الذي يقول لزوجته : أنت عَلَيّ كظهر أمي . فتحرم عليه والظِّهَارُ وكفارته في الآيات : 2-4 من سورة "قد سمع" .